محاضرة رقم 4 بعنوان:

إقتراب الإتصال Communication Approach لكارل دويتش Karl Deutch

يحظى الإتصال في حياة الأفراد والجماعات والمنظمات والدول بمكانة كبيرة وتعتبر الإتصالات بمثابة شريان الحياة للنظام السياسي ، إذ بدونها لا يستطيع الإستقرار والمحافظة على وحدته وتكامله، وبدون تخزين ونقل السجلات التي حوت أعمال الماضي فإن النظام يعجز عن الإستمرار، كذلك لا يمكن الحديث عن عملية سياسية دون الإشارة إلى عنصر الإتصال الذي يمثل محور التفاعل السياسي في الظواهر السياسية المختلفة.

أولا: تطور إقتراب الإتصال في علم السياسة:

يعد كارل دويتش Karl Deutch أول من قاد محاولة إستخدام الإتصال كبؤرة إهتمام التحليل السياسي، وذلك بعرض أفكاره في مجموعة مقالات ومؤلفات أشهرها كتابيه العصب الحكمومي و السياسة والحكم : كيف يقرر الناس مصيرهم، ويري دويتش أن العملية الإتصالية تعد جوهرية بالنسبة لأي نظام سياسي فهو يستقبل الرسائل باستمرار وهذه تستدعيه لقراءتها وتحليلها والإستجابة لها، وتقوم وسائل الإستقبال التي تتلقى المعلومات في صور رسائل بنقلها إلى مركز القرار الذي يعتمد على ذاكرته أي المعلومات المخزنة في العقل أو السجلات وعلى قيمه – أي تفضيل قرار عللى آخر– في التوصل إلى القرار الذي يبعث بع إلى الأبنية التنفيذة التي تتخذ الأفعال والإجراءات المناسبة لتنفيذه ، وهذه القرارات والأفعال التنفيذة تثير ردود أفعال مختلفة تتلقاها أجهزة إستقبال المعلومات لتحولها بذورها إلى مراكز القرار ويطلق على هذه العملية التغذية الإسترجاعية ويمكن توضيح ذلك .

ثانيا: المفاهيم التي إستخدمها دويتش:

إستخدم العديد من المفاهيم التي إبتكرها في إطاره التحليلي وعملياته ويمكن تجميع تلك المفاهيم في ما يلي:

- ***مفاهيم تتعلق بالأبنية العاملة وتتضمن:***

1/ نسق الإستقبال: يشير إلى مجموعة الأجهزة والقنوات التي تتلقى المعلومات من البئة الداخلية والخارجية للنظام السياسي والإستقبال ليس عملا سهلا بسيطا ولكنه يتضمن إستقبال المعلومات وفحصها وتصنيفها.

2/ نسق الذاكرة: ويعني بعا أوعية إختزان المعلومات الخاصة بالأوضاع الداخلية والخارجية.

3/ نسق القيم: تشير إلى مجموعة القيم التي عن طريقها يفاضل صناع القرار بين البدائل المختلفة.

4/ نسق التنفيذ: وتعني أجهزة تنفيذ القرار.

❖ ***مفاهيم تتعلق بتدفق المعلومات ومعالجتها وتتضمن:***

1/ الحمل: ويعني مجموعة المعلومات والرسائل القادمة إلى النظام السياسي من البيئة وكلما زاد ثقل الحمل على النظام صعب على النظام التكيف والتفاعل معه فالحمل يعني: ضغوط البيئة على النظام ويعني بالنسبة للنظام السياسي: مجموعة المتغيرات التي تحدث في البيئة الداخلية والخارجية وتستدعي النظام للإجابة عليها ومواجهتها وبصيغة أخرى ما هو الحمل على نظام صنع القرار السياسي في الدولة.

2/ طاقة التحمل: تشير إلى القدرة على إستقبال كل المعلومات الواردة ومعالجتها وتتوقف هذه القدرة على عدد القنوات الإتصالية المتاحة وأنواعها وحالتها وعلى درجة الدقة في جمع المعلومات ومدى التشوه الذي طرأ على المعلومات عند إستقبالها ولحظة الإستجابة لها فكلما زاد التشويه كان على النظام أن يواجه متاعب لأن إستجابته – قراره– لن تكون للموقف الفعلي وإنما لتصور غير دقيق ولموقف مصطنع زائف.

3/ الإستدعاء: يعبر عن قدرة النظام علة إستدعاء الخبرة السابقة التي يمكن أن تفيد في تحليل المعلومات الواردة إليه.

❖ ***مفاهيم تتعلق بالقرارات وآثارها وتتضمن:***

1/ المخرجات: وتشير إلى القرارات التي يخرجها النظام ، إستجابة للمعلومات الواردة إليه

2/ الإبطاء: وهي المدة التي يستغرقها النظام مابين إستقباله المعلومات (الحمل) والرد عليه، وكلما طالت مدة الإبطاء كلما قلت كفاءة النظام وضعف تكيفه مع البيئة وكلما قلت هذه المدة التي تستغرقها

الحكمومة أو الحزب للإستجابة للمستجدات والتحديات وما هو الوقت المضاف إليه للتوصل إلى صناعة قرار أو إتخاذ موقف

3/ الكسب: يشير إلى مقدار التغير الذي يحشده النظام في البيئة بما اتخذه ونفذه من قرارات وهو يعبر عن مدى قدرة النظام للإستجابة للحمل بهدف التكيف مع البيئة ويتوقف ذلك على حسن تدبر المعلومات فكلما كان التغير كبيرا دل ذلك على أن الكسب كان أيضا كبيرا ويمكن صياغة السؤال التالي: ماهو الكسب المترتب على الإستجابة بمعنى ماهي سرعة وحجم رد فعل النظام السياسي على البيانات الجديد التي تم قبولها؟

4/ التغذية الإسترجاعية: أولى دويتش أهمية كبيرة لهذا المفهوم بل إعتبره الفكرة الأساسية في العملية الإتصالية الكاملة والصحيحة ويقصد بها: عملية تدفق معلومات جديدة من البيئة إلى النظام كتعبير ورد فعل عن نتائج أفعاله وقراراته السابقة فهي المعلومات التي يستقبلها النظام وهي تمثل حملا جديدا على النظام إلا أنها يمكن أن تكون بمثابة مقياس للكسب الذي حققه النظام فهي تعلم النظام عن تصرفاته السابقة حتى يواصل السير في المنحى ذاته أو يعدل فيه أو يتركه فالتغذية الإسترجاعية وما تتضمنه تصبح بالنسبة لصانع القرار بمثابة المرشد والدليل وتتخذ التغذية الإسترجاعية الصور الآتية:

- تغذية إسترجاعية إيجابية: وتشير إلى تدفق المعلومات من البيئة إلى النظام بشأن قراراته المتخذة وتتضمن رموزا ودلالات يترجمها النظام على أنها نوع من الرضا يدعوه لمواصلة إنتهاج السلوك نفسه للوصول إلى الهدف.
- تغذية إسترجاعية سلبية: وتشير إلى تدفق المعلومات من البيئة إلى النظام بشأن قراراته المتخذة سابقا وتتضمن رموزا ودلالات يترجمها النظام على أنها تعبير على عدم الرضا البيئة عن تلك القرارات وهذا ما يدفعه إلى تعديل سلوكه اللاحق لبلوغ الهدف المطلوب .
- تغذية إسترجاعية تستتبع الهدف الأصلي: تشير إلى تدفق المعلومات إلى النظام عن نتائج قراراته تحمله على تغيير هدفه الأصلي فقد يدرك النظام أن هدفه الأصلي قد تحقق فيضع لنفسه هدفا جديدا أو يدرك أن هدفه الأصلي صعب التحقيق فيتحول عنه إلى هدف آخر غير أن تغيير الهدف يتضمن تغييرات في وظيفة صنع القرار وعمله وبنائه.

❖ ***مفاهيم تتعلق بالتحديد والتكيف وتتضمن:***

1/ القدرة على التعلم: وتعني قدرة النظام على تصحيح سلوكه وتطويره بما يملكه من المعلومات التي جمعها سابقا وخزنها وحفظها فالنظام حينما يتصرف تصرفا معينا أو يتخذ قرارا معينا ثم تأتيه ردود الأفعال فإنه يحتفظ في ذاكرته بصورة عن تصرف معينا أو يتخذ قرارا معينا ثم تأتيهردود الأفعال فإنه يحتفظ في ذاكرته بصورة نتائج أفعاله سلبية كانت أو إيجابية وحينما تعرض عليه مواقف جديدة فإنه يستدعي ذاكرته ليتصرف مسترشدا بتلك المعلومات المحتفظ بها.

وعملية التعلم تدفع النظام إلى التخلي عن تصرفات سابقة مع إرساء مجموعة من التصورا والترتيبات الجديدة .

2/ التحول الذاتي: يشير إلى قدرة النظام على أن يتغير ذاتيا في كثير من جوانبه وكثير من أهدافه وبعبارة أخرى قدرة النظام على تجديد مؤسساته وسياساته بشكل يضمن الحفاظ على تكامل المجتمع وإستقراره.

3/ المبادرة: وتشير إلى مقدرة النظام السياسي على توقع مطالب البيئة أي مقدرة النظام على توقع التغييرات التي يمكن أن تحدث في البيئة كما يمكن أن تحدث في النظام السياسي.

والقدرة على التوقع تمكن النظام من تحقيق أهدافه بما فيها هدف المحافظة على بقائه وإستمراريته لذلك يتوجب على صناع القرار في النظام السياسي أ نيضعوا في إعتبارهم التغييرات المتوقعة في النظام السياسي وفي البيئة المحلية والدولية .

ثانيا: الإنتقادات الإقتراب الإتصالي لكارل دويتش:

على الرغم من الإضافات الجديدة التي قدمها هذا اللإقتراب مثل مفهوم تغير الأهداف ووظيفة التحول الذاتي إلا أنه يدرس الظواهر الإنسانية كما يدرس الظواهر الطبيعية كذلك فإن محاولة إستخدام القياس لا يمكن أن ينطبق على الكثير من الظواهر الكيفية – معنى الرسالة/ شدتها/ نبرة الصوت...